Rihan Journal for Scientific Publishing
ISSN: 2709-2097 www.rjsp.org
مجلة ريحان للنشر العلمي
Issue 41 (2023) PP 477:500
2023-11-28

تَوْظِيفُ الدَّلَالَةِ النَّحْوِيَّةِ فِي تَحْدِيدِ الْمَعْنَى فِي تَفْسِيرِ "أَضْوَاء البَيَانِ" للشّنْقِيطِيّ

Using Grammatical Connotation in Determining Meaning in the Interpretation of "Adwaa Al-Bayan"by Al-Shanqeeti

إعداد: أ. **صالحة عامر حامد عثمان**
قسم اللُّغة العربيَّة، كليَّة اللُّغات، جامعة السُّودان للعلوم والتّكنولوجيا – السُّودان
Salha Amer Hamed OSMAN
Department of Arabic Language, College of Languages, Sudan University of Science and Technology – SUDAN
Email: salhaalabbadi@gmail.com
https://orcid.org/0009-0001-9625-1167

أ.د. محمَّد داؤد محمَّد داؤد
قسم اللُّغة العربيَّة، كليَّة اللُّغات، جامعة السُّودان للعلوم والتّكنولوجيا – السُّودان
Mohamed Daud Mohamed DAUD
Department of Arabic Language, College of Languages, Sudan University of Science and Technology – SUDAN
Email: elmozuro@gmail.com
https://orcid.org/0009-0000-6638-8077

د. مجدي إبراهيم محمَّد صافي
كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة الملك خالد – السّعوديَّة
قسم اللُّغة العربيَّة، كليَّة اللُّغات، جامعة السُّودان للعلوم والتّكنولوجيا – السُّودان
Majdi Ibrahim Muhammad SAFI
College of Arts and Human Sciences, King Khalid University – SAUDI ARABIA
Department of Arabic Language, College of Languages, Sudan University of Science and Technology – SUDAN
Email: msafi@kku.edu.sa & majdisafi6@gmail.com
https://orcid.org/0009-0008-5360-6045

الملخص

درس البحث توظيف الدَّلالة النَّحويَّة في تحديد المعنى في تفسير (أضواء البيان) للشنقيطيّ، حيث هدف إلى بيان تسخيره تلك الأُسُس في تحديد المعنى، واتَّبع المنهج الوصفيَّ، القائم على الملاحظة والتحليل والاستقراء الناقص، ومنطلق التَّحليل هو (الإسناد)، وعرَّف البحث بالشّنقيطيّ ووضَّح الدَّلالة النَّحويَّة ومحددات المعنى، وتناول توظيف دلالات الذكر والحذف والرُّتبة والإظهار والإضمار ووظائف بعض عناصر الجملة في تحديد المعنى، ومِمَّا خلص إليه: بناء الشَّنقيطيّ كثيرًا من الاستنباطات على الدَّلالات النَّحويَّة، وأكثرها ورودًا دلالة الحذف.

الكلمات المفتاحيَّة: الجُملة، التَّراكيب، الدَّلالة النحويَّة، الإسناد، تحديد المعنى.

Abstract

The research studied the use of grammatical connotation in determining meaning in the interpretation of (Adwaa al-Bayan) by Al-Shanqeeti. where aimed to demonstrate harnessing of these foundations in determining meaning. It followed the descriptive approach, based on observation, analysis, incomplete induction, and the starting point of the analysis is (attribution). The research introduced Al-Shanqeeti and clarified the grammatical significance and the determiners of meaning. It also dealt with the use of the connotations of mentioning, deletion, rank, appearance, and implicitness, as well as the functions of some elements of the sentence in determining the meaning. Among what study concluded: Al-Shanqeeti built many deductions on the grammatical connotations, the most frequently mentioned is the connotation of deletion.

Keywords: The Sentence, Structures, Grammatical Connotation, Attribution, Determining of Meaning.

المقدمة

الحمد لله منزل القرآن بالعربيَّة، والصلاة والسلام على نبيه محمَّد العربيّ لسانًا ونسبًا، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد: فيُعدُّ النَّحو محورًا مهمًّا للعلوم اللُّغويَّة؛ ولذلك وظَّف العلماء كثيرًا من العلوم المختلفة لوضع حجر أساسه وتمكينه ومناقشة جوانبه. والدلالة النحويَّة تتناول التَّركيب اللُّغويَّ، وتعتمد على عناصر لغويَّة، وخصائص مهمَّة في النصِّ، هي المركّبة له وهي سبب ميزته، وهو ميدان يُغني المادة اللُّغوية. وعلى ذلك جاء هذا البحث؛ ليتناول توظيف الدَّلالة النَّحويَّة في تفسير (أضواء البيان)، وتأثيرها في تحديد المعنى.

إشكالية البحث

تتجسَّدُ مشكلة البحث في الكشف عن مدى اعتماد تفسير (أضواء البيان) للشّنقيطيّ على الدَّلالة النَّحويَّة في تحديد المعنى.

أهميَّة البحث

يعدُّ البحث سهمًا في الدَّرس النَّحويّ الحديث، وتعزيزًا لجهود تيسير فهم النَّصّ القرآني، وتأكيدًا لأهميَّة دلالة التَّراكيب في (أضواء البيان).

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. تسليط الضّوء على أبرز المواضع التي لجأ فيها الشّنقيطيّ في تفسيره إلى الدَّلالة النَّحويَّة؛ لتحديد المعنى.
2. بيان طرائق توظيف الدَّلالة النَّحويَّة في تحديد المعنى في (أضواء البيان).
3. الكشف عن تأثير توظيف الدلالة النَّحويَّة في تحديد المعنى في (أضواء البيان).
4. تصنيف مواضع الدَّلالة النَّحويَّة في (أضواء البيان).

منهج البحث

يتَّبع البحث المنهج الوصفيّ القائم على الملاحظة والتحليل والاستقراء الناقص.

حدود البحث

الحدود الموضوعيَّة للبحث هي المسائل النَّحويَّة التي بنى عليها الشّنقيطيُّ في تحديد المعنى في تفسيره (أضواء البيان) مكتفيًا بنماذجَ مختارة عشوائيًّا.

البحوث السَّابقة

هناك كثير من البحوث السَّابقة اتَّفقت مع هذا البحث في بعض زواياه واختلفا في جوانب أخرى، وسنعرض ما له صلة مباشرة بالدَّلالات الوظيفيَّة أو تحديد المعنى في (أضواء البيان) مرتَّبة حسب درجة صلتها ببحثنا:

1. **تأثير الدَّلالة الصَّرفيَّة في تحديد المعنى في تفسير (أضواء البيان) للشّنقيطيّ:** لمحمَّد داؤد وصالحة عامر ومجدي صافي، منشور في مجلَّة كليَّة المعارف الجامعة بالعراق، 2023م، ودرس تحديد المعنى في (الأضواء)، على مستوى الوظائف الصَّرفيَّة، بينما تتناول هذا البحث وظائف التَّركيب، وممَّا هدف إليه ذلك البحث توضيح مدى توظيف الشّنقيطيّ الدَّلالة الصَّرفيَّة في تحديد المعنى في تفسيره، وممَّا خلص إليه أنَّ للدَّلالة الصَّرفيَّة وظيفةً واضحة في تحديد المعنى في (الأضواء)، ويُعَدُّ هذا البحث حلقة مكمِّلة لذلك.
2. **أثر السِّياق الصَّرفي في توجيه المعنى في تفسير (أضواء البيان) لمحمَّد الأمين الشّنقيطيّ:** لرقيَّة كركور، وقد نُشِر في مجلَّة الاستواء بجامعة قناة السّويس، عام 2019م، وقد هدف إلى توضيح أثر السِّياق الصَّرفي في توجيه المعنى في (الأضواء)، وقد بلور أهميَّته في توجيه المعنى، وينصرف ذلك البحث إلى تتبُّع أثر السِّياق في المعنى، ولا يدخل السِّياق ضمن نطاق بحثنا ابتداءً.
3. **دلالة السِّياق في تفسير (أضواء البيان) للعلَّامة الشّنقيطيّ (دراسة موضوعيَّة تحليليَّة):** لأحمد لافي، وهو بحث ماجستير من الجامعة الأردنيَّة، 2007م، ومن أهم أهدافه تتبُّع إعمال الشّنقيطيّ السِّياق واستنباط الدَّلالة على إثره، وخلص إلى تأكيد أهميَّة السِّياق القرآنيّ في إبراز المعنى، والجامع بين البحثين موضوع الدِّراسة ولكن يسير كلٌّ منهما في سبيل مختلفة من جهة المنهجيَّة والأهداف.

تمهيد: الشّنقيطيّ وتفسيره (أضواء البيان)

اسمه محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، (أبو زيد:1)، من الجَكنيين، من حِمْيَر. وُلد عام 1917م، بشنقيط (موريتانيا)، (المجذوب: 251/3)، ونشأ في بيئة علميَّة، (العصيمي: 19)، فحفظ القرآن قبل العاشرة، ثُمَّ بدأ دراسة العلوم الدينيَّة، (www.ahl-alhdeeth.com)، فدرس بعض المختصرات الفقهيَّة على مذهب مالك، ودرس النّحو والأدب، والمنطق وآداب البحث

والمناظرة مطالعةً، (أبو زيد: 21)، وتميَّز في الشِّعر ومن مشايخه ابن أحمد الأفرم، وأحمد بن عمر، ومحمد النّعمة بن زيدان، وأحمد بن مؤد. (الشّنقيطيّ: 2176).

خرج في التاسعة عشرة من عمره للحجّ برًّا، واستقرَّ ببلاد الحرمين، وأسهم في تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة، ثم عُيِّن عضوًا بهيئة كبار العلماء، وكان عضوًا في المجلس التَّأسيسيّ لرابطة العالم الإسلامي. (الشّنقيطيّ: **22**).

من تلاميذه عطيّة سالم، وعبد العزيز بن باز، ومحمد بن عثيمين، ومحمّد ولد سيدي ولد الحبيب، وحمَّاد الأنصاري، وعبد المحسن العبَّاد، وغيرهم. (الشّنقيطيّ: **22**). ومن مؤلَّفاته: (أضواء البيان، ودفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، ومنع المجاز في المنزّل للتّعبد والإعجاز، ومذكرة الأصول). (الشّنقيطيّ: **22**). توفي بمكّة يوم عام 1974م، بعد أدائه الحجَّ. (الحسين: 2060).

القيمة العلمية لـتفسير (أضواء البيان)

اسم الكتاب (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) طُبع عدة طبعات أشهرها طبعة في تسعة أجزاء، وقد وصل الشّنقيطيُّ إلى جزء (قد سمع) حيث تُوفي، ثم أكمله تلميذه عطيَّة سالم، وقد احتوى الكتاب على مادَّة علمية توضح غزارة علم صاحبه وسَعة اطِّلاعه وتمكُّنه من الأصول والتَّفسير واللُّغة والآداب والنَّحو والسِّيَر والتَّاريخ، واحتوى على كثير الاستنباطات العلمية والنُّقول والمناقشات والتَّحليلات الدَّالَّة على رسوخه، واعتمد على القواعد والضوابط العلميَّة في الاستنباط والترجيح ولم يكن يعتمد على الموروث فقط، بل يستنبط الأحكام؛ فكان تفسيره محكمًا مجيدًا، فيه تفصيل وتدقيق لأحكام شرعيَّة ولُغويَّة.

المحور الأوَّل: الأسس الوظيفيَّة لتحديد المعنى

هذه الأسس هي محدِّدات المعنى، وهي الآليات أو القواعد التي تساعد في تعيين المعنى؛ لأنَّ المعنى من الأشياء الخاصة بالمتكلِّم؛ فهو الذي يعرف مراد كلامه على جهة القطع، والهدف منها ضبط الفهم الصَّحيح، ولا سيّما إذا تعلَّق الأمر بالقرآن والسُّنة، وغالب هذه المحدِّدات تتقاطع فيها علوم القرآن وعلوم الآلة المختلفة كالتَّجويد والتَّفسير والفقه والأصوات والدَّلالة واللُّغة والبلاغة والعروض. (أعطوط: **213**).

وهذه الأسس (المحدِّدات) هي:

- **المحدد الصَّوتيّ:** هو ما تؤديه الأصوات المكونة للكلمة من وظيفة في إظهار المعنى، (هادف: 135)، أو هي الدلالة المستفادة من الأصوات اللُّغويَّة الصَّادرة من جهاز النُّطق،

وما يتركَّب من هذه الأصوات من ألفاظ، ثمَّ ما تؤدِّيه هذه الألفاظ من معانٍ مكتسبة، أو طبيعيَّة، (الفاخري: **48**). وللدَّلالة الصَّوتيَّة دور أساسيٌّ في تعيين المعنى وتحديده؛ لأنَّه الأساس الذي يُعتمد عليه في بناء الكلمات ثُمَّ الجمل، والخطاب، ويرى بعض الباحثين أن الصِّلة ثابتة بين الأصوات ومدلولاتها، وأنَّ للصَّوت قيمة دلالية وظيفيَّة في تكوين المعنى، وتحديده في اللغة العربيَّة أوضح منها في اللغات الأخرى، (المبارك: **131**). وقد علَّل بعض الباحثين وضوح الدلالة الصوتيَّة في العربيَّة أكثر من غيرها بأنَّ أصوات اللغة العربيَّة مستوفاة متميزة، خلافًا لأكثر اللُّغات التي تعُوزها الحروف الحلقيَّة، أو تلتبس فيها مخارج بعض حروف الهجاء. (العقَّاد: **36**).

- **المحدّد الصَّرفيّ:** وهو متمثِّل في الصيغ الصَّرفيَّة المختلفة للَّفظة الواحدة، وهي ذات وظيفة أساسيَّة في تعيين المعنى؛ فتغيُّر الصِّيغة يغيِّر المعنى، كما أنَّ للصِّيغة الصَّرفية قيودًا مهمة لا بُدَّ من مراعاتها في تحديد المعنى، وتتمثل هذه الأمور في: (هنداوي: **17**).
  1. كون الصِّيغة الصَّرفية لها هيئة حاصلة من ترتيب معيَّن.
  2. كونها على مثال يُحتذى وينسج على منواله.
  3. كونها صناعة أو سَبْكًا.

وللدَّلالة الصرفيَّة أهميَّة بالغة في تحديد المعنى، وهي من أقوى الدَّلالات، على حدِّ مفهوم كلام ابن جني؛ إذ تناولها تحت: "باب الدلالة اللفظيَّة والصّناعيَّة والمعنويَّة" يقول: "واعلم أنَّ كلَّ واحدة من هذه الدَّلائل معتدّ مراعى مؤثر، إلا أنَّها في القُّوة، والضَّعف على ثلاث مراتب: فأقواهنَّ الدَّلالة اللَّفظيَّة، ثم تليها الصناعيَّة، ثم تليها المعنويَّة، ولنذكر من ذلك ما يصحُّ به الغرض فمنه جميع الأفعال، ففي كل واحدة منها الأدلَّة الثلاثة، ألا ترى إلى (قَامَ) ودلالة لفظه على المصدر ودلالة بنائه على زمانه ودلالة معناه على فاعله؟ فهذه ثلاثة دلائل من لفظه وصيغته ومعناه، وإنَّما كانت الدَّلالة الصّناعيَّة أقوى من المعنويَّة من قبل أنَّها -وإن لم تكن لفظًا- فإنَّها صورة يحملها اللَّفظ ويخرج عليها، ويستقرُّ على مثال المعتزم بها فلمَّا كانت كذلك لحقت بحكمه، وجرت مجرى اللَّفظ المنطوق به؛ فدخلا بذلك باب المعلوم بالمشاهدة". (ابن جنّي: **328/3**). فهنا يؤكِّد على الصيغة اللفظيَّة وأهميتها في تحديد المعنى وجعلها أقوى الدلالات.

- **المحدد النَّحويّ:** هو وظيفة الصّلة بين النّمط التّركيبيّ ومدلوله، وهو من أهم الآليات التي لها أثر في معرفة فحوى الخطاب، وهو عنصر حاسم في تحديد الدّلالة. (عمر: **69**). وتدخل فيه كثير من المباحث التي تناولها البلاغيون العرب في علم المعاني كأغراض التَّعريف

والتَّنكير والذِّكر والحذف والتَّقديم والتَّأخير والفصل والوصل والإيجاز والإطناب وغيرها من المسائل التي تؤثِّر في مسير وظيفة الجملة. وممَّا يشكِّل هيكل الدَّلالة النَّحويَّة الأسلوبيَّة، (أبو العدوس: **40**). والعلامة الإعرابيَّة التي تُعدُّ من أبرز قرائن استنباط وظائف الكلمات في الجُملة.

وقد عُنِيَ الدَّارسون بالمحدِّد النَّحويّ كثيرًا؛ إذ هو وظيفة نظم الجُملة ورصفها وترتيبها، وهو ثمرة العلاقات بين عناصر الجُملة وما يُستفاد من الرَّبط بين الأساليب النَّحويَّة ودلالاتها الوظيفيَّة، وأبواب النَّحو جميعها لها دلالات نحويَّة عامَّة كدلالة الحال على هيئة صاحبها والتَّمييز على تفسير المبهم وغير ذلك. (عبد العبود: **110**).

وهذا المحدِّد سنعوِّل عليه في الجانب التَّطبيقيّ من البحث، وسنفرد له المحور الثَّاني؛ لأهميته الخاصَّة في سياق هذا البحث.

- **الاستعمال العرفي:** المقصود به كون اللَّفظ استمد معناه الحقيقي عن طريق هجران اللَّفظ معناه الوضعي إلى معناه الاستعماليّ، (التُّركي: **115**). والاستعمال هو عامل من عوامل التَّغيُّر الدَّلاليّ، يقع ضمن العوامل التاريخيَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة، فبِعَدِّ اللُّغة وسيلةً للتفاهم وأداةً للتَّواصل فإنَّ من أسباب تطوُّرها التبدُّل الناشئ من كثرة استعمال اللَّفظ، وتتعرَّض الكلمة إلى البلى والابتذال إذا استعملت في جانب معيَّن. (سليمان: **37**). والألفاظ دائرة بين النَّاس، والذي يحدِّد حياتها أو موتها أو تغيّرها ورقيَّها أو انحطاطها هو استعمالها المتعارف عليه؛ ولذلك يُعوِّل عليه الباحثون في تحديد المعنى.

المحور الثَّاني: مفهوم الدَّلالة النّحويّة ومكوناتها

يتركَّب مصطلح (الدَّلالة النّحويّة) من عنصرين: الأوَّل: الدَّلالة، والثَّاني: النَّحويَّة، وسنعرِّف كلّ عنصر منفردًا باختصار، ثمّ نعرِّف المصطلح مركَّبًا.

فالدَّلالة هي علم دراسة المعنى، (عمر: 11)، وأمَّا النَّحويَّة فمنسوبة إلى النَّحو، وهو علم يدرس المستوى التَّركيبي للُّغة، ويرتبط ارتباطًا جوهريًّا بالمعنى. (عزوري: 248).

أمَّا مصطلح (الدَّلالة النَّحويَّة) -مركبًا- فيعني الدَّلالة التي تحصل من خلال العلاقات النّحويَّة بين الكلمات التي تتّخذ موقعًا معيَّنًا في الجملة حسب قوانين اللّغة؛ إذ إنَّ كلَّ كلمة في التّركيب لا بدَّ أن تكون لها وظيفة نحويَّة من خلال موقعها. (النعيمي: **10-12**).

وهو علم يبحث الصّلة بين النّمط التّركيبيّ ومدلوله؛ فهو من أهم الآليات اللّغويّة التي لها أثر في معرفة الخطاب القرآني، وتعدُّ عنصرًا حاسمًا من عناصر تحديد الدّلالة، وفهم المعنى. (عمر: **69**).

وتأتي أهمية الدّلالة النَّحويَّة في المرتبة الثَّانية بعد تكوين الكلمات؛ فالكلمة تكتسب تحديدًا وتبرز جزءًا من الحياة الاجتماعيَّة، والفكريَّة عندما تحلُّ في موقع نحويّ معيّن في التَّركيب الإسنادي، وعلاقاته الوظيفيّة كالفاعليّة والمفعوليّة والحاليَّة والتَّبعيَّة .... (عزوري: **248**)، وهي مجال استنباط الأحكام الشرعية من نصوص الكتاب والسنَّة. (جمال الدّين: **8**).

والغاية التي تسعى إليها الدّلالة النّحويَّة تحديد القواعد المألوفة في تركيب الكلمات، وفي ترتيب الأقسام الشّكليَّة؛ لتكوين الجُمل في لغة من اللُّغات، كما أنَّ للدَّلالة النّحويّة ميزةً تغني المعنى في فهم النُّصوص الشّرعيَّة، واستنباط الأحكام المبنيَّة على ذلك، وهي دلالة الاحتمال التي تتّسم بها في غالب أحوالها، (www.m-a-arabia.com)، ومن هنا وجدتْ اهتمامًا كبيرًا من المفسِّرين قديمًا وحديثًا.

وتتبني الدّلالة النّحويّة في العربيَّة على أسس النِّظام النَّحويّ، وهي: (حسَّان: 178).

1. طائفة من المعاني العامَّة التي تُسمَّى معاني الجُمل، أو الأساليب.
2. مجموعة من المعاني النَّحويَّة الخاصَّة، أو معاني الأبواب المفردة، كالفاعليَّة، والمفعوليَّة.
3. مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصَّة؛ حتَّى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها كعلاقة الإسناد، والتَّخصيص، والتَّبعيَّة.

وقد حظيت الدَّلالة النَّحويَّة في تفسير (أضواء البيان) بمساحات واسعة، وكان لها نصيب عظيم في تحديد المعنى؛ لاتِّساع معانيها ولخاصيَّة الاحتمالات التي تميُّزها، ممَّا جعلها غنيَّة بالأوجه المختلفة في تأويل النَّصِّ القرآني عند الشّنقيطيّ.

المحور الثَّالث: توظيف الدَّلالة النَّحويَّة في تفسير (أضواء البيان)

وظَّف الشّنقيطيّ الدَّلالة النَّحويَّة في تفسيره وسخَّرها في اختيار المعنى وترجيح بعض المعاني، وقد تنوَّع في طرق اعتماده عليها بين دلالة الذكر والحذف والرُّتبة، والإظهار والإضمار، ووظيفة الضَّمير واعتماده على وظائف بعض عناصر التَّركيب، وستُرتَّب الآيات في كلّ موضوع حسب ترتيب المصحف الشَّريف، وإذا كان في الموضوع جانبين كالذِّكر والحذف، أو الإظهار

والإضمار مثلًا، فتُقدَّم الآية التي فيها الطرَّف الأول؛ فتُقدَّم آية الذِّكر على الحذف، والإظهار على الإضمار.

1. دلالات الذكر والحذف في أضواء البيان

1. قال الله تعالى: ({فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ}، [الحجر:98].

قال الشَّنقيطيُّ: "أمر جلَّ وعلا في هذه الآية بأمرين: أحدهما "فسبِّح بحمد ربِّك"، والثَّاني "وكن من السَّاجدين"، وقد تكرَّر ذلك في كتابه، وهنا عطف الخاص على العام؛ فتضمَّن غاية التَّنزيه ومنتهى التَّقديس، وعلى كلِّ حال فالمراد بقوله: وكن من السَّاجدين أي من المصلِّين سواء قلنا إنَّ المراد به الصَّلاة، أو أعمّ منها من تنزيه عمَّا لا يليق به... وعلى أنَّ المراد بالتَّسبيح الصّلاة، فالمسوّغ لهذا الإطناب الذي هو عطف الخاصّ على العامّ هو أهميَّة السُّجود". (الشّنقيطيّ: 322/2).

وعطف الخاصّ على العامّ فيه نوع إطناب وذِكْر؛ لأنَّ الخاصَّ ذُكِر مرتين؛ بغرض بيان الاهتمام بالمعطوف، قال السُّيوطيّ: "فائدته التَّنبيه على فضله حتَّى كأنَّه ليس من جنس العامِّ تنزيلًا للتَّغاير في الوصف منزلة التَّغاير في الذَّات"، وذكر أبو حيَّان أنَّ هذا النّوع من العطف هو من الأحكام التي انفردت بها الواو، فلا يجوز ذلك في غيرها من أدوات العطف، وحكى عن شيخه ابن الزُّبير أنَّه كان يقول: "إنَّ هذا العطف يسمَّى بالتَّجريد كأنَّه جُرِّد من الجملة، وأُريد بالذِّكر تفصيلًا"، وقد تقرر في فن المعاني، أن عطف الخاص على العام؛ إذا كان الخاص يمتاز على سائر أفراد العام بصفات حسنة أو قبيحة من الإطناب المقبول. (الشّنقيطيّ: 15/4).

وقد استنبط الشّنقيطي من هذا المسلك التَّعبيريّ فائدة أرسخ بها المعنى المختار، وهي أنَّ الذِّكر والإطناب في الآية جاء لبيان أهميَّة خاصَّة للمذكور (السُّجود) دون غيره من أفراد جنسه.

2. قال تعالى: (قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلاَّ تَتَّبِعَنِ)، [طه: 92-93].

قال الشنقيطي: "قال بعض أهل العلم: "لا" في قوله: "الَّا تتبعن" زائدة للتَّوكيد... وقال مقيِّدُهُ: قد عُرِف في عُرْف اللُّغة العربيَّة أنَّ زيادة لفظة (لا) في الكلام الذي فيه معنى الجحد لتوكيده مطَّرد كقوله هنا: ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألَّا تتبعن" أي: ما منعك أن تتبعني، بدليل قوله في سورة (ص): "{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}، [ص:75]، وغيرها من الآيات.". (الشّنقيطيّ: 89/4).

وكان يمكن للكلام أن ينهض بمؤدَّاه بدون ذكر (لا) وتكون الجملة: "ما منعك أن تتبعني"، ولكن بذكرها أفادت معنى لم يكن موجودًا لولاها وهو توكيد الكلام وتقويته؛ ولعلَّ التَّوكيد هنا استدعاه عظم الموقف لا إنكار المخاطب.

3. قال تعالى: "ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ"، [البقرة: 51].

قال الشنقيطي: "الآية، ونحوها من جميع آيات اتخاذهم العجل إلهًا المفعول الثاني محذوف في جميعها، وتقديره اتَّخذتم العجل إلهًا، ونكتة حذفه دائمًا التنبيه على أنَّه لا ينبغي أن يتلفظ بأن عجلًا مصطنعًا إله."، (الشّنقيطيّ: 40/2).

أشار الشّنقيطيّ إلى أنَّ حذف المفعول الثَّاني مؤذن بالتَّنبيه على انحطاط دلالة اللَّفظ المذكور وأنَّه لا يليق ذكر اللِّفظ ذي الدَّلالة المتسامية (إله) حذاءه، وفي ذلك تنزيه للمحذوف من إدخاله في هذا السِّياق الذي لا يناسب جنابه.

4. {وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ}، [هود:69-70].

قال الشَّنقيطيُّ: "لم يبيّن –هنا- المراد بهذه البشرى التي جاءت بها رسل إبراهيم، ولكنَّ أشار بهذا إلى أنَّها البشارة بإسحاق، ويعقوب، {وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ}، [هود:71]، وقيل هي إخباره بإهلاك قوم لوط، والظَّاهر الأوَّل، والآية الأخيرة تدلُّ عليه؛ لأنَّ فيها التَّصريحَ بأنَّ إخبارهم بإهلاك قوم لوط بعد مجيئهم بالبشرى؛ لأنَّه مرتَّب عليه بأداة الشَّرط التي هي (لمَّا)، كما ترى. (الشّنقيطيّ: 185/2).

في الآية حذف ودلالتها تنبني على تحديد المحذوف، وقد أورد الشَّنقيطي عدّة تأويلات لمدلول (البشرى)، وفصل القول بالدَّلالة الوظيفيَّة للأداة (لمَّا)، والمعنى: لمَّا بشروه بإسحاق، ويعقوب أخبروه بإهلاك قوم لوط. وقد انبنى تحديد المعنى على توظيف دلالة الحذف من جهة، وإعمال وظيفة بعض العناصر النَّحويَّة لبيان دلالة المحذوف؛ فعالج دلالة الحذف ودلالة المحذوف.

5. قال تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ}، [هود:74].

قال الّشنقيطيّ: "لم يبيّن –هنا- ما جادل به إبراهيم الملائكة في قوم لوط، فحاصل جداله: إن أهلكتُمُ القرية وفيها أحد من المؤمنين أهلكتم ذلك المؤمن بغير ذنب، فأجابوه: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ}، [العنكبوت:32]. (الشّنقيطيّ: 187/2).

وقد فطن الشّنقيطيّ إلى دلالة الحذف، وكون السّياق يبيّن المحذوف، فالمقام مقام إيجاز، ولا مدخل إلى الالتباس، وقد وظَّف الآية التالية في بيان فحوى المحذوف؛ وهذا من إعماله السِّياقَ القرآنيَّ؛ فهو يجعل القرآن نصًّا واحدًا مترابطًا، يوضِّح اللَّاحق منه السَّابق والسَّابق منه اللَّاحق، وهذا المسلك واضح في تفسيره، وعالج على ضوئه كثيرًا من صور الانزياح في النَّسق التَّركيبيّ، وفسَّر ما وراءه من دلالات وظيفيَّة.

6. قال تعالى: (فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ)، النَّحل: 36.

قال الشنقيطي: "وقوله: من هدى الله أي: وفَّقه لاتِّباع ما جاءت به الرسل، والضَّمير المنصوب الذي هو رابط الصلة بالموصول محذوف؛ أي: فمنهم من هداه الله على حد قوله في الخلاصة: (الشّنقيطيّ: 375/2).

والـحَذْفُ عِـنْـدَهُـمْ كَـثِـيرٌ مُـنْـجَـلِـي

فِي عَائِدٍ مُتَّصِلٍ إِنِ انْتَصَبْ بِفِعْلٍ أَوْ وَصْفٍ كَمَنْ نَرْجُو يَهَبْ (ابن مالك: 16).

ذكر الشنقيطي أنَّ ضمير النَّصب محذوف، وأنَّ هذا الصّنيع مطرد في العربيَّة، ولا سيَّما في عائد الصلة، ويأتي لأغراض كثيرة وجاء هنا للتوسُّع؛ لئلَّا يُوضع حدٌّ للتَّفكُّر فيمن هداهم الله من الإنس وغيرهم.

7. قال تعالى: {وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا}، [الكهف: 84].

قال الشنقيطي: "هذا الكلام مقول قول محذوف، وحذف القول مطَّرد في اللُّغة العربيَّة كثير جدًّا في القرآن العظيم، والمعنى يقال لهم يوم القيامة: (لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)؛ أي: حفاة عراة غرلًا (غير مختونين)، كلُّ واحد منكم فرد، لا مال معه، ولا ولد ولا خدم ولا حشم". (الشّنقيطيّ: 285/3).

فحدَّد الشّنقيطيّ المعنى على ضوء الحذف وقدَّر المحذوف، والحذف هنا للإيجاز، وقد جاء في مقام يناسبه؛ ولذلك يُعَدُّ أقوى في الإبلاغ؛ لكونه يوصل المخاطب إلى الدَّلالة بأقصر سبيل؛ وهذا من دواعي الحضور الذّهني.

كما يُلاحظ أنَّ الشّنقيطيّ فهم الآية بإرجاع ما أُجْمِلَ فيها -وهو (كما خلقناكم أوَّل مرَّة)- إلى تفصيل ورد في السُّنَّة، دون التَّصريح بذكر الحديث، ولكن أورد مضمون معناه؛ فهو يشير إلى حديث عائشة المتَّفق عليه: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُراةً غُرْلًا ...". البخاريّ، (3349)، ومسلم، (5859)، فجعل السنَّة نصًّا متَّسقًا مع القرآن الكريم.

8. قال تعالى: {فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}، [طه:66].

قال الشنقيطي: "في هذه الآية الكريمة حذف دلَّ المقام عليه، والتقدير: قال بل ألقوا فألقوا حبالهم وعصيهم، فإذا حبالهم وعصيُّهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، وبه تعلم أنَّ الفاء في قوله: "فَإِذَا حِبَالُهُمْ" عاطفة على محذوف، كما أشار إلى ذلك ابن مالك في الخلاصة بقوله": (الشّنقيطيّ: 33/4).

وَحَذْفَ مَتْبُوعٍ بَدَا هُنَا اسْتَبِحْ، (ابن مالك: 545).

والغرض من الحذف -هنا- الإيجاز والاختصار، وقد بيَّن الشّنقيطيّ الحذف واستعان ببعض القرائن اللَّفظيَّة من عناصر الجملة في فهم المحذوف، فذكر الفاء العاطفة، ودلالتها على التتابع في الحدث دون استرخاء، ووضَّح أنَّها قرينة لفهم هذا الأسلوب النَّحويّ.

والحذف أحد القضايا التركيبيَّة، ويعد أحد جوانب الاتساع في الدرس النحوي عامة، فنتيجة لاتساع التراكيب تتسع معها الدلالات النحوية. (تركي: 134).

2. تحديد المعنى على أساس رتبة عناصر التَّركيب

قد يتبنَّى الشّنقيطيّ معنى أو يستبعد آخر أو يرجّح بناء على رتبة عناصر الجملة وما ينبني عليها من دلالات وظائف تكون مستنده في تصرُّفه إزاء النَّصّ القرآني.

1. قال تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، [الفاتحة:5].

قال الشنقيطي: "أشار في هذه الآية إلى تحقيق معنى لا إله إلا الله؛ لأنَّ معناها مركَّب من أمرين: نفي وإثبات، وقد أشار إلى النَّفي من (لا إله إلا الله) بتقديم المعمول الذي هو (إيَّاك)، وقد تقرر في الأصول أنَّ تقديم المعمول من صيغ الحصر". (الشّنقيطيّ: 7/1).

فحدَّد الشّنقيطيّ المعنى باعتماده على ما حصل في التركيب من انزياح في رتبة بعض عناصر الجُملة؛ إذ يفيد هذا الضَّرب تخصيص الحكم وقصره على العنصر المقدَّم، وتوصَّل إلى معنى النَّفي في لا إله إلا الله، بتقديم (إيّاك)، وهو مفعول به مقدم، أي لا نعبد إلَّا إيَّاك، وكان الغرض من ذلك الحصر، فالمعبود هو الله وحده، وهذا تأكيد للنَّفي.

2. قال تعالى: {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}، [البقرة:40].

قال الشنقيطي: "للدلالة على الحصر، أي: خافون وحدي، ولا تخافوا سواي، وهذا الحصر المشار إليَّه هنا بتقديم المعمول بيَّنه جلَّ وعلا في مواضع أخرى، كقوله: "فَلَا تَخْشَوا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ". (المائدة: 44)، (الشّنقيطيّ: 382/2).

قوله: (إيَّاي) ضمير منفصل مفعول به مقدَّم، و(ارْهَبُونِ) فعل وفاعل، وقدَّم المفعول به على الفعل والفاعل من أجل إفادة الحصر، ومؤدَّاه أنَّ الله وحده يجب أن يكون المَخُوفَ عبادةً، وقد عضَّد الشّنقيطيّ مفهومه باللُّجوء إلى آية أخرى في إطار نظرته إلى القرآن على أنَّه نصّ واحد.

3. قال تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُون}، [يونس:58].

قال الشّنقيطيّ: "وتقديم المعمول يؤذن بالحصر أعني قوله: "فبذلك فليفرحوا"؛ أي: دون غيره فلا يفرحوا بحطام الدنيا الذي يجمعونه". (الشّنقيطيّ: 215/1).

وإضافة هذا النَّمط التَّركيبيّ للجملة يجعل المعنى أنَّ الفرح الذي يستحقُّ الذِّكر والتَّنويه بشأنه هو الفرح بفضل الله ورحمته.

4. قال تعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}، [طه:50].

قال الشنقيطي: "أي: أعطى كل شيء صورته، وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به،... وقال بعض أهل العلم: إن (خلقه) هو المفعول الأول، و(كلّ شيء) هو المفعول الثاني، وعلى هذا القول فالمعنى: أنَّه تعالى أعطى الخلائق كلَّ شيء يحتاجونه ثم هداهم إلى طريق استعماله، ومعلوم أن المفعول من مفعولي باب (كسا)، ونحوه لا مانع من تأخيره، وتقديم المفعول الثاني إن أُمن اللَّبس، وقال مقيِّدُهُ: لا مانع من شمول الآية الكريمة لجميع الأقوال المذكورة؛ لأنَّه لا شكَّ أنَّ الله أعطى الخلائق كلَّ شيء يحتاجون إليه في الدُّنيا، ثُمَّ هداهم ، ولا شكَّ أنَّه أعطى كلَّ صنفٍ شكله، وصورته المناسبة له". (الشّنقيطيّ: 19/4).

فهنا احتمل التركيب انزياحًا في رتبة بعض عناصر التَّركيب، ولم يُقدِم الشّنقيطيّ على تبنّيه أو ردّه؛ لكون النِّظام التَّركيبيّ يسع ذلك، ولا يظهر أنَّ ذلك توقُّف عن التَّرجيح، بل لكون النَّصّ يسع الاحتمالين دون تعارض؛ فأبقاه على هذا الوضع توسعة في الدَّلالة، ولكون في كلِّ المعنين ما ليس في الآخر والجمع بينهما يقوّي الدَّلالة.

5. قال تعالى: {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى}، [طه:70].

قال الشنقيطي: "والظاهر أنَّ تقديم هارون على موسى في هذه الآية لمراعاة الفواصل. (الشّنقيطيّ: 63/4).

يري الشّنقيطي أن موسى أولى بالتقديم؛ فهو المكلَّف بإبلاغ الرسالة أصالةً، ولكن قُدِّم هارون مراعاةً للفواصل، ولهذا المسلك فوائد تتمثَّل في الحفاظ على الفواصل القرآنيَّة؛ ممَّا يؤدِّي إلى جذب الانتباه وتشويق المخاطب، وتسهيل حفظ النَّصّ، وهذه الأغراض كلُّها تدعم إرساخ الدَّلالة وإيصالها بأيسر أسلوب، وأبهاه، وممَّا يدعم هذا الانزياح في الرُّتبة أنَّ الواو لا تفيد ترتيبًا.

3. تحديد المعنى على ضوء وظائف بعض عناصر التَّركيب

قد يبني الشّنقيطيّ تحديد المعنى على الدَّلالة الوظيفيَّة لبعض عناصر التَّركيب، ويجعل ذلك عنصرًا حاسمًا في مسار المعنى في تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك:

1. قال تعالى: {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا}، [الحج: 2].

قال الشنقيطي: "الظاهر أنَّ (ما) موصولة، والعائد محذوف، أي: أرضعته ... وقال بعض العلماء: هي مصدريَّة؛ أي: تذهل كل مرضعة عن إرضاعها؛ قال أبو حيَّان في (البحر المحيط): "يقوّي كونها موصولة تعدِّي (وَضَعَ) إلى المفعول به في قولها (حملها) لا إلى المصدر". (الشّنقيطيّ: 256/4).

فحدد الشّنقيطيّ المعنى -هنا- اعتمادًا على وظيفة (ما)، واختار كونها موصوليَّة، والعائد محذوف، وما الموصوليَّة تقع على ذوات ما لا يعقل، وعلى صفات العقلاء، وهي أكثر اتساعًا، (السّامرَّائيّ: 133)، ورُبَّما كان تفسير (ما) بالموصوليَّة أبلغ، والمعنى: يوم تذهل كل مرضعة عمَّا أرضعته في حال إرضاعها له وقربها منه، وعلى المصدريَّة يكون المعنى: يوم تذهل كل مرضعة

عن إرضاعها، وقد يكون الإرضاع فيما مضى، والذُّهول عنه ليس بالأمر العظيم، وقد عضَّد مذهبه بدلالة الحذف.

2. قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}، [المؤمنون:99-100].

قال الشّنقيطيّ: "الظَّاهر عندي أنَّ (حتَّى) في هذه الآية هي التي يُبتدأ بها الكلام، ويقال لها: حرف ابتداء كما قاله ابن عطيَّة خلافًا للزّمخشريّ القائل: إنَّها غائيَّة، ولأبي حيّان القائل: إنَّ الظَّاهر له أنَّ قبلها جملة محذوفة، وهي غاية لها يدلّ عليها ما قبلها، وقدّر الجملة المذكورة بقوله: (فلا أكون كالكفّار الذين تهزمهم الشّياطين، ويحضرونهم حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعون)، ونظير حذف هذه الجملة قول الفرزدق:

فَوَا عَجَبًا حَتَّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي كَأَنَّ أَبَاهَا نَهْشَلٌ أَوْ مَجَاشِعُ (الفرزدق: 261).

والمعنى يسبُّني النَّاس حتَّى كليب؛ فدلَّ ما بعد (حتَّى) على الجملة المحذوفة، وفي الآية دلَّ ما قبلها عليها"، أي: على المحذوف. (الشّنقيطيّ: 353/5).

يقول الشَّنقيطيُّ: "والأظهر عندي هو ما قدَّمته، وهو قول ابن عطيَّة من أنَّ الكافر، والمفرّط في عمل الخير إذا حضر أحدهما الموت طلبا الرَّجعة إلى الحياة؛ ليعملا العمل الصَّالح، ولكن لا يُجابان لذلك كما دلَّ عليه حرف الزَّجر والرَّدع الذي هو (كلَّا). (الشّنقيطيّ: 354/5).

فذكر الشَّنقيطيّ معنيين لـ (حتَّى): الأوَّل أنَّها غائيَّة، والثَّاني أنَّها ابتدائيَّة، واختار كونها ابتدائيَّة؛ لأنَّ (إذا) التي بعد (حتَّى) تحتاج إلى جواب بخلاف الغائيَّة، ويقوّي هذا أنَّ (إذا) بمعنى (إذ)؛ لأنَّ الأمر قد انقضى، وإنَّما ذلك حكاية حال، فتغني (إذا) على هذا عن الجواب، ولعلَّ الأظهر أنَّ (إذا) تحتاج إلى جواب، وتكون (حتَّى) حرف ابتداء، وقد بنى الشّنقيطيّ تحديد المعنى على ما اختاره من وظيفة (إذا).

4. تحديد المعنى على أساس وظيفة الضَّمير

في بعض المواضع يعتمد الشَّنقيطيّ في تحديد المعنى على وظيفة الضَّمير ومرجعه إلى أطراف التَّركيب، وما ينني عليه من ربط، ويجعل ذلك مؤشِّرًا على حمل النَّصّ على دلالة معيَّنة.

1. قال تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ}، [النحل:1].

قال الشنقيطي: والضَّمير في قوله: "فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ" في مفسِّره وجهان: أحدهما أنَّه العذاب الموعود به يوم القيامة المفهوم من قوله: "أتى أمر الله"، والثاني أنَّه يعود إلى الله، أي: لا تطلبوا من الله أن يعجل لكم العذاب. قال معناه ابن كثير". (الشّنقيطيّ: 327/2).

حدَّد الشنقيطي المعنى على أساس مرجع الضمير في قوله: "فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ" فإمَّا أنَّه راجع الله وإما أنَّه راجع للعذاب، وهذا ما رجَّحه بالاعتماد على ما تقدَّم من قوله: "أَتَى أَمْرُ اللهِ"، وترتَّب على هذا الاختيار ترجيح أحد القولين تأسيسًا على وظيفة الضَّمير في الجملة وما ينهض به من وظيفة الرَّبط.

2. قال تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ}، [النحل:61].

قال الشنقيطي: "الضَّمير في "عَلَيْهَا" راجع إلى غير مذكور، وهو الأرض؛ لأنَّ قوله: "من دابة" يدل عليه؛ لأنَّ من المعلوم أنَّ الدَّوابَّ تدبُّ على الأرض، ورجوع الضمير إلى غير مذكور يدل عليه المقام". (الشّنقيطيّ: 392/2).

عَرَض للشّنقيطيّ إشكال في تحديد المعنى؛ لأنَّ معاد الضمير غير ملفوظ، ولكنَّه اعتمد في تحديد المعنى على قرينة لفظيَّة (دابَّة) بأنَّه يعود إلى كلمة (الأرض)؛ لكون الدوَّاب من لوازمها، واعتمد على هذا المستند في تحديد مرجع الضمير، وجعل ذلك أساسًا من أسس تحديد المعنى.

3. قال تعالى: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ}، [الحج:78].

قال الشّنقيطي: "اختُلِف في مرجع الضَّمير الذي هو لفظ (هو) من قوله: (هُوَ سَمَّاكُمُ)، فقال بعضهم: الله الذي هو سمَّاكم من قبل، وفي هذا، وقال بعضهم: هو أي: إبراهيم سمَّاكم المسلمين ... ولكن توجد قرينان تدلّان على القول بـ (إبراهيم) غير صواب: إحداهما أنَّ الله قال: (وفي هذا)، أي: القرآن، ومعلوم أنَّ إبراهيم لم يسمِّهم المسلمين في القرآن؛ لنزوله بعد وفاته بأزمان طويلة، والقرينة، الثَّانية أنَّ الأفعال كلها في السياق المذكور راجعة إلى الله، لا إلى إبراهيم مثل: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}، الحج: ٧٨، فإن قيل: الضمير يرجع إلى أقرب مذكور –وأقرب مذكور هو إبراهيم- فالجواب أنَّ محلَّ رجوع الضمير إلى أقرب مذكور محلّه ما لم يصرف عنه صارف، وهنا قد صرف عنه صارف، وهو قوله: (وَفِي هَذَا)، يعني القرآن. (الشّنقيطيّ: 519/7).

فهنا برز معنيان في مرجع الضمير: الأول أنَّ الضَّمير يعود إلى الله سبحانه، وتعالى، والثاني أنَّه راجع إلى (إبراهيم)، ولكنَّ الشنقيطيَّ رجَّح رجوعه إلى (الله) مع أنَّ النِّظام اللغويَّ في الجملة

يقتضي عودة الضمير إلى أقرب المذكورين، فاعتمد على قرنيتين: الأولى قرينة لفظية مشار إليها، والثانية قرينة معنوية وهو عطف الضمير على أفعال خاصة بالله سبحانه وتعالى.

5. تحديد المعنى على أساس وظيفة التَّعيين

ينبني تحديد المعنى في (أضواء البيان) أحيانًا على المعنى الوظيفي للتَّعيين (التَّعريف والتَّنكير) في سياق تركيبيٍّ معيَّن، ويجعل المعنى الوظيفيّ المستفاد من هذا الأسلوب قاعدة من قواعد تحديد المعنى.

1. قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا}، [الكهف:1].

قال الشنقيطي: "أي: لم يجعل في القرآن عوجًا، أي لا اعوجاج فيه البتَّة، لا من جهة الألفاظ، ولا من جهة المعاني، فأخباره كلُّها صدق، وأحكامه عدل، سالم من جميع العيوب في ألفاظه ومعانيه؛ لأنَّ قوله: (عوجًا) نكرة في سياق النفي؛ فهي تعُمُّ جميع أنواع العوج". (الشّنقيطيّ: 192/3).

لقد ذكر الشنقيطي معانيَ كثيرة في استقامة القرآن وعدم اعوجاجه اعتمادًا على النَّفي الذي يكون في سياق النكرة؛ لأن النكرة إذا جاءت في حيِّز النَّفي، أو شبهه كانت دلالتها على العموم أرجح، نحو قولك: ما جاءني رجل، فالراجح أنَّك تريد لم يجئك أحدٌ من هذا الجنس، (السّامرَّائيّ: 39)، فالنَّكرة في النفي تعمُّ، وفي الإثبات تخصُّ؛ لأن النَّفي دليل العموم، (البخاري، علاء: 20/2)، كما تُعَدُّ النكرة المنفيَّة جزءًا من توسيع الكلام؛ لأنَّها تعطي مساحة للمخاطب في التفكير في نفي أي عوج يمكن أن يُتَخيَّل.

6. تحديد المعنى على ضوء الإظهار والإضمار:

يحدِّد الشَّنقيطيّ المعنى في بعض المواضع بناء على دلالة الإظهار والإضمار كأن يأتي الاسم الظَّاهر في موضع الضَّمير.

1. قال تعالى: {وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا}، [الكهف:51].

قال الشنقيطي: "فيه الإظهار في محل الإضمار، لأنَّ الأصل الظاهر: وما كنت متخذهم عضدًا، كقوله: {مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}، والنكتة البلاغيَّة في الإظهار في محل الإضمار هي ذمَّه تعالى لهم بلفظ الإضلال". (الشّنقيطيّ: 294/3).

يشير الشّنقيطيّ -هنا- إلى ذكر الاسم الظَّاهر في موضع يكفي فيه الضَّمير، وبيَّنَ أنَّ ذلك يفيد ذَمَّ الكفَّار، كما يفيد التَّعميم؛ فلو ذُكِر الضَّمير لربَّما تبادر إلى الأذهان أنَّ ذلك خاصٌّ بمن يرجع إليهم

الضَّمير، وفيه النَّصُّ على علّة استحقاقهم القدح وهي كونهم مضلّين، وقد بنى الشّنقيطيّ المعنى الذي استقاه من النَّصّ على مسلك الإظهار في موضع الإضمار. وقد انبنى على هذا ترجيح الشّنقيطيّ أحد المعنيين استنادًا على نظام تركيب الجملة.

2. قال تعالى: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلاَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم}، [الشورى:5].

قال الشنقيطيّ: "أكَّد جلَّ وعلا في هذه الآية أنَّه هو الغفور الرَّحيم، وبيَّن فيها أنَّه هو المختصُّ بذلك في ضمير الفصل بين المسند والمسند إليه، ويدلُّ على ذلك -كما هو معلوم- وهو توكيده تعالى أنَّه هو الغفور الرَّحيم ... ووجه دلالة هذه الآية على أنَّ الله وحده هو الذي يغفر الذُّنوب الاختصاص المستفاد من الفصل بين طرفي الإسناد بضمير الفصل ... وأكَّد ذلك –أيضًا- بحرف الاستفتاح الذي هو (ألا)، وحرف التَّوكيد الذي هو (إنَّ). (الشّنقيطيّ: 41/7).

فهنا استند الشّنقيطيُّ في تحديد المعنى على ثلاث محدِّدات نحويَّة؛ ليقوِّي بها اختياره: **الأوَّل**- دلالة ضمير الفصل، وهو ضمير يتوسَّط بين المبتدأ والخبر أو ما كان في حكمهما، يفصل بين كون الكلمة صفةً وكونها خبرًا، وإذا توسَّط بينهما ينقطع احتمال كونه صفةً، كما أنَّ الفصل يفيد قصر المسند على المسند إليه؛ ممَّا يقوِّي الحكم، ويؤكِّد ارتباط المسند بالمسند إليه. **والثاني**- (ألا)، وهي أداة استفتاح، وإفادتها التَّحقيق على ما بعدها، قال الزَّمخشريُّ –كما نقل عنه ابن هشام الأنصاريُّ- (الأنصاري: 105)،"... بكونها بهذا المنصب على التَّحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلَّا مصدَّرة بنحو ما يُتلقَّى به القسم، نحو: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ)، يونس: ٦٢، **والثالث**- (إنَّ)، وفائدتها التَّأكيد لمضمون الجملة، وتأتي –كذلك- لنفي الشِّك في الحكم، كما تأتي لربط الكلام بعضه ببعض، فلا يحسن سقوطها، وإنَّ سقطت اختلَّ الكلام.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسَّر إكمال هذا البحث، والشُّكر له على جزيل كرمه، وتفضُّله ومنِّه. كان موضوع البحث عن توظيف الدَّلالة النَّحويَّة في تفسير (أضواء البيان) للشّنقيطيّ في تحديد المعنى، وبعد دراسة هذه المادَّة وتحليل محتواها انتهى البحث إلى بعض النتائج والتَّوصيات.

النتائج

1. كان للدَّلالة النَّحويَّة دور بارز من بين الدَّلالات الوظيفيَّة التي اعتمد عليها الشّنقيطي في تحديد المعنى في (الأضواء).

2. استعمل الشّنقيطي في (الأضواء) صورًا من الدَّلالة النَّحويَّة في تحديد المعنى، كدلالة الحذف والذكر، والإضمار والإظهار، والتقديم والتأخير، كما استعمل دلالات التَّوسُّع.
3. اتَّخذ الشّنقيطيّ الدَّلالة النَّحويَّة حدًّا فاصلًا في التَّرجيح بين أقوال المفسِّرين.
4. كان لدلالة الحذف النَّصيب الأكبر من بين الدلالات المعتَمَد عليها في تحديد المعنى وتوجيهه في (الأضواء).
5. فسَّر الشَّنقيطيّ كثيرًا من صور الانزياح عن النَّسق التَّركيبيّ في الرُّتبة والحذف بالسِّياق القرآني وأعمل فيه مبدأ تكامل النَّصِّيَّة.

التوصيات

بعد تناول هذا الموضوع بدت للباحثين بعض الموضوعات ذات الصِّلة به يرون أنَّها تحتاج إلى معالجة، وعليه يوصون بالآتي:

1. العناية بآليات استنباط الدَّلالة في كتب التَّفسير، ولا سيما (أضواء البيان)؛ لما اشتمل عليه من مادَّة علميَّة غنيَّة.
2. دراسة عن توظيف المسائل الأسلوبيَّة في تحديد المعنى في (أضواء البيان).
3. دراسة توظيف الشَّواهد الشِّعريَّة في تحديد المعنى في (أضواء البيان).
4. تحقيق الآراء اللُّغويَّة التي ينسبها الشَّنقيطيّ إلى العلماء، ببيان مصادرها وموقفه منها.
5. تحليل تعبيرات الشَّنقيطيّ في اختياراته تحليلًا دلاليًّا متكاملًا.

المراجع

ابن جني، أبو الفتح عثمان، (1434ه)، الخصائص، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

ابن مالك، محمَّد بن عبد الله، (د. ت)، ألفيَّة ابن مالك، دار التَّعاون، القاهرة.

أبو زيد، بكر، (1426هـ)، آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، دار الفوائد، مكَّة المكرَّمة.

أعطوط، حسين محمد، (2016م)، أهمِّيَّة المعنى ومحدداته في الدرس اللّساني القديم، جامعة قاصدي مرياح، الجزائر، (بحث منشور)، مجلة الأثر، العدد 26.

الأنصاريّ، ابن هشام، (1985م)، مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر، دمشق، ط6.

البخاري، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد، (1430ه)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، دار الكتب العلمية- بيروت.

البخاريّ، محمَّد بن إسماعيل الجُعفيّ (1422هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: النَّاصر، محمَّد زهير، دار طوق النَّجاة، بيروت.

التُّركي، إبراهيم بن منصور، (1438ه)، إنكار المجاز عند ابن تيمية، دار كنوز إشبيليا، الرياض.

تركي، فايز صبحي، (1431هـ)، الحذف التركيبي وعلاقته بالنظم الدَّلاليّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

جمال الدين، مصطفى، (1405ه)، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الهجرة، إيران.

حسَّان، تمَّام، (2006م)، اللغة العربيَّة معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة.

الحسين، الطيب بن عمر، (1413هـ)، السّلفيّة وأعلامها في بلاد شنقيط، السّعوديَّة.

السامرائي، فاضل صالح (2000م)، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر-عمان.

سليمان، محمد الفاتح، (1439ه)، التَّطور الدَّلاليّ لمصطلحات العقيدة، دار الكتب العلميَّة بيروت.

الشنقيطي، محمد الأمين، (1995م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

عزوري، مريم، (2017م)، الدلالة النحويَّة وسماتها في الجملة، جامعة حسيبة بن أبو علي أولاد فارس الشلف - الجزائر، (بحث منشور)، المجلة التعليميَّة، (4/ 13).

العصيمي، تركي بن مسفر بن داخل، (2012م)، الفكر التَّربويّ عند الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، (رسالة ماجستير) جامعة أم القرى، كلِّيَّة التَّربية.

العقاد، محمود عباس، (1438ه)، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المحرر العربي.

عمر، أحمد مختار، (1998م)، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5.

الفاخري، صالح سليم عبد القادر، (د.ت)، الدلالة الصوتيَّة في اللغة العربيَّة، المكتب العربي الحديث، الإسكندريَّة.

الفرزدق، همام بن غالب، (1987م)، ديوان الفرزدق، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

المجذوب، محمد، (2008م)، علماء ومفكرون عرفتهم، دار الشواف، ط4.

محمد المبارك، (2000م)، فقه اللغة وخصائص العربيّة، دار الفكر الإسلامي الحديث، مصر.

مسلم بن الحجَّاج بن مسلمّ، (د.ت)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم، تحقيق: عبد الباقي، محمَّد فؤاد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

النعيمي، زينب مديح جبارة، (2017م)، الدلالة النحويَّة بين القدامى والمحدثين، مجلة واسط للعلوم الإنسانيَّة- جامعة واسط.

هادف، بوزيد ساسي، (2009م)، الدَّلالة الصَّوتيَّة عند ابن جني من خلال كتابه (الخصائص)، حوليات التراث، الجزائر، العدد: 9، جامعة قالمة.

هنداوي، عبد الحميد أحمد يوسف، (2008م)، الإعجاز الصَّرفي، المكتبة العصريَّة، بيروت، ط1.

www.ahl-alhdeeth.com

www.m-a-arabia.com

References

Abū zīd, bakr, (1426h-), thār Al-Shykh al-'allāmah Muḥammad al'amīn Al-Shnqīṭī, dār alfūa'ād, mkkah almkrramah.

Al-'anṣāryy, ibn hshām, (1985m), mghnī alllabīb 'n ktb al'a'ārīb, dār al-fikr, dimashq, ṯ6.

Al-'aqād, maḥmūd 'bās, (1438h), 'ashtāt mujtama'āt fī al-lughah wāl'adb, dār almḥrr al-'arabī.

Al-bukhārī, 'lā' Al-Dīn 'Abd al-'azīz bin 'Aḥmad, (1430h), kashf al'asrār 'n 'uṣūl fakhr al'islām albzdūy, dār al-kutub al-'ilmiyah- Bayrūt.

Al-bukhārīّ, mḥmmad bin 'ismā'īl alju'fyy (1422h-), Al-jāmi' almusnad al-Ṣaḥīḥ almkhtṣr min 'amūr rsūl allh ṣlā allh 'Alīh wslm wsunanh w'ayāmh (Ṣaḥīḥ al-bukhārī), tḥqīq: Al-Nّāṣr, mḥmmad zhīr, dār ṭūq Al-Nّājāh, Bayrūt.

Al-fākhrī, ṣāliḥ salīm 'Abd al-qādir, (d.t), Al-Dlālah Al-Ṣwtyyah fī al-lughah al-'arabīăh, almktb al-'arabī al-ḥadīth, al'iskndryyah.

Al-farazdaq, hmām bin ghālb, (1987m), dīwān alfrzdq, dār alktb al-'ilmīăh, Bayrūt.

Al-ḥusīn, Al-Ṭayib bin 'mr, (1413h-), Al-Slfyyh w'a'lāmhā fī blād shnqīṯ, Al-S'ūdyyah.

Al-majdhūb, Muḥammad, (2008m), 'ilma' wmfkrūn 'rfthm, dār Al-Shwāf, ṯ4.

Al-N'īmī, zīnb mdīḥ jbārh, (2017m), Al-Dlālah Al-Nḥūyyah bayn alqdām wal-muḥadithīn, majallat wāsṯ li al-'ulūm al'insānyyah- jāmi'h wāsṯ.

Al-Sāmurrā'ī, fāḏl ṣāliḥ (2000m), m'ānī Al-Nḥū, dār al-fikr li al-ṯibā'ah wAl-Nashr-'Ammān.

Al-Shnqīṭī, Muḥammad al'amīn, (1995m), 'aḍwā' al-bayān fī 'iyḍāḥ al-qur'ān bal-qur'ān, dār al-fikr li al-ṯibā'ah wAl-Nashr wal-tawzī', Bayrūt.

Al-'ṣīmī, trkī bin msfr bin dākhl, (2012m), al-fikr Al-Tăarbūyy 'nd Al-Shykh Muḥammad al'amīn Al-Shnqīṭī, (risālat mājstīr) jāmi'at 'um al-qurā, klliyyah Al-Tăarbiyah.

Al-tturkī, 'ibrāhīm bin minṣūr, (1438h), 'inkār almjāz 'nd ibn tīmyah, dār knūz 'ishbīlīa, Al-Riyāḍ.

'Amr, 'Aḥmad mkhtār, (1998m), 'ilm Al-Dlālah, 'ālm alktb, al-qāhirah, ṯ5.

'A'ṭūṯ, ḥsīn Muḥammad, (2016m), 'ahmmiyyah alm'n wmḥddāth fī Al-Drs alllsānī alqdīm, jāmi'h qāṣdī mrīaḥ, al-jazā'ir, (bḥth minshūr), majallat al-'athar, al-'adad 26.

'Azūrī, mrīm, (2017m), Al-Dlālah Al-Nḥūyyah wsmāthā fī aljmlah, jāmi'h ḥsībah bin Abū 'Alī 'awlād fārs Al-Shlf - al-jazā'ir, (bḥth minshūr), almajallat Al-T'Alīmyyah, (4/ 13).

Hādf, būzīd sāsī, (2009m), Al-Dălālah Al-Ṣăwtyyah 'nd ibn jnī min khilāl ktābihi (alkhṣā'iṣ), ḥūlīat Al-Trāth, al-jazā'ir, al-'adad: 9, jāmi'h qālmah.

Hindāwī, 'Abd al-ḥamīd 'Aḥmad yūsuf, (2008m), al'i'jāz Al-Ṣarfī, almaktabat al-'aṣryyah, Bayrūt, ṯ1.

Ḥssān, tmmām, (2006m), al-lughah al-'arabīah m'nāhā wmbnāhā, 'ālm alktb, al-qāhirah.

Ibn jnī, Abū al-fatḥ 'uthmān, (1434h), alkhṣā'iṣ, dār alktb al-'ilmīah, Bayrūt.

Ibn mālk, mḥmmad bin 'Abd allh, (d. t), 'alfyyah ibn mālk, dār Al-Ta'āwn, al-qāhirah.

Jamāl Al-Dīn, Muṣṭafā, (1405h), al-baḥth Al-Nḥūy 'nd al-'uṣūlyīn, dār alhjrh, 'iyrān.

Muḥammad almbārk, (2000m), fqh al-lughah wkhṣā'iṣ al-'arabīh, dār al-fikr al'islāmī al-ḥadīth, miṣr.

Muslim bin alḥjjāj bin Muslim, (d.t), almusnad al-Ṣaḥīḥ almkhtṣr binql al'dl 'n al'dl 'ilā rsūl allh (ṣlā allh 'Alīh) wslm, tḥqīq: 'Abd al-bāqī, mḥmmad fu'ad, dār 'iḥīa' Al-Trāth al-'arabī, Bayrūt.

Sulaymān, Muḥammad alfātḥ, (1439h), Al-Ta̓ṭūr Al-Dalālyy lmuṣṭalaḥat al'qīdah, dār alktb al-'ilmīah Bayrūt.

Turkī, fāyz ṣubḥī, (1431h-), alḥdhf Al-Trkībī w'lāqth bAl-Nẓm Al-Dalālyy, dār alktb al-'ilmīah, Bayrūt.

www.ahl-alhdeeth.com

www.m-a-arabia.com